غفران الامير

مأساة نثرية ذات اربعة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم

مدبر مدرسة الطاهرة للسريان الكاثوليك في الموصل القس حنا رحماني (نشمة)

الفصل الثالث

سبق السيف العذل

المشهد الاول

الاسود وثعلبة

الاسود (بتأسف) اذاً قد ثبت فقدان نُمير

ثعلبة نعم ايها الملك

الاسود وهل رجع السُعاة الذين ارسلناهم للكشف عنه؟

ثعلبة رجع الكل ولم يقفوا له على اثر ... انما احدهم رأى وراء هذه الاكمة سواداً عظيماً. كانَّ قوماً نزلوا هناك

الاسود ما قبيلتهم؟

ثعلبة لم يتثبّت جنسهم لبعده. فان احبَّ الملك ارسلنا من يتحقّقهم

الاسود أرسل ربيئةً على جناح السرعة

ثعلبة (يصرخ) كليب . كليب

المشهد الثاني

الاسود . وثعلبة وكليب

كليب سيدي

ثعلبة حلَّ قومٌ وراء هذه الاكمة ولا بُدَّ للملك ان يعرف اصلهم

كليب سمعاً وطاعة (يمشي للخروج)

ثعلبة (يلحقه) عجّل ما امكنك (ثم بصوت منخفض لكليب) لا تغادر القصر قبل ان نلتقي

كليب (بالصوت ذاته) فهمتُ (يخرج)

ثعلبة (يلتفت ليرجع الى الاسود فيراهُ متهيّئاً للخروج فيمشي وراءهُ . ثم عندما يتوارى الاسود يحرك ثعلبة يده كانه يدفعه ثم يرجع الى الجهة الاخرى وينادي بصوت منخفض) : كليب . (ثم ينظر من الجهة التي خرج منها الاسود ويرجع فينادي) : كليب

المشهد الثالث

ثعلبة وكليب

ثعلبة اياك ان تذهب الى الاكمة . خذ هذا الكتاب وتوارَ قليلًا في جوار القصر على غير مرأى من احد . ثم عُدْ بعد مدة وقدّمه للاسود قائلًا : انه من تبّع ملك حمير للنعمان وان التبّع لم يسلّمك اياه الّا بعد ان تأكد منك انّك صديق النعمان واخذ عليك المواعيد المكرّرة والأيمان المغلّظة انك لا تُطلع عليه احدًا

كليب امرك سيدي (يخرجان)

المشهد الرابع

جليل والمنذر

المنذر لم يعُد لي طاقة يا جليل على احتمال غياب اخي . انهُ استبى قلبي معه

جليل تقوّ يا منذر . اني اعهدك شهماً رابط الجنان

المنذر نعم يا جليل ولكن اراني بعد فقدان اخي كالشجيرة الضعيفة تتلاعب بها الرياح وقد نزعوا عنها سندها الذي تعتمد عليه . واحسرتي عليك يا نمير

نميرُ اخي قد زاد قلبي تلهُّباً ... وقد حرقتْ مني الشؤونَ المدامعُ

وقد اضرمت قلبي المصيبةُ لوعةً ... وقد حميَتْ مني الحشا والاضالعُ

فاسألُ عنك الرَّكبَ هل يُخبرونني ... بحالك كيما تسكنَ الخاضعُ

فلم يكُ فيهم مُخبرٌ عنك صادقٌ ... ولا فيهم من قال انك راجعُ

نميرُ اخي مذ غبتَ كدّرت عيشتي ... فقلبيَ مصدوعٌ وطرفيَ دامعُ

وفكريَ مسقومٌ وعقليَ ذاهبٌ ودمعيَ مسفوحٌ وصدري بلاقعُ

(يبكي)

جليل (يأخذُ بيد المنذر وينعطف نحوه بحنوّ) يا منذر كفكف الدموع ... وماذا اقول انا وقد هجرتُ امّي ووطني وجميع الاقارب والاحباب (يبكي) ان مصابي لاعظم من مصابك بكثير . فلنتعزَّ كلانا

المنذر انتَ لم تفقدهم يا جليل . سيُعيدك الله اليهم عن قريب

جليل وانت ايضاً سترى نيرًا اخاك راجعاً سالماً ... (يمسكه بيده من جديد بانعطاف) يا منذر بحق حبّك لي سألتك ألّا تعتمّ هكذا لفقد نير . انا اقوم مقامه لديك ريثما يعود قريباً ان شاء الله . أترضى بصحبتي يا منذر ؟

المنذر (يمسح دموعه) كيف لا ارضاكَ يا خيرَ الاخوة . يا ملاكاً حلّ قصرنا فزرع فيه الفرح ونشر العزاء وبذل التعزية

المشهد الخامس

الاسود وجليل والمنذر

المنذر الم يأتنا احد بخبر عن نير يا ابي

الاسود لا يا بنيَّ

المنذر كنتُ الآن ابكي فَقْدَ نير فعزّاني جليل وعرض عليَّ ان يكون لي اخاً حتى عودة شقيقي فرضيتُ

الاسود حسناً صنعت يا بني . توخَّ ابن النعمان لحسن سجاياه وورعه . ثمَّ ان من كُسرَ بالحرب لجدير بعد الحرب بكل اعتزاز ومجاملة . ولا يحق للغالب ان يحتقر المغلوب او يهينه . فاذهبا يا ولديَّ الى هذه الاكمة (يشير الى الاكمة بيده) وانظرا لعلكما تقفان على اثر لنير (يخرجان ويدخل ثعلبة)

المشهد السادس

الاسود وثعلبة

الاسود لقد ابطأ الرسول يا ثعلبة وبتُّ قلق البال لا أطيقُ الصبر

ثعلبة المكان بعيد يا سيدي . على كل حال لا اظنه يُبطئ بعدُ (يتطلع) ها هو آتٍ

المشهد السابع

الاسود وثعلبة وكليب

كليب (يدخل وبيده ورقة ملفوفة) سيدي الملك دونك هذه الأوكة. اقتربتُ من القوم فقبضوا عليَّ واخذوني الى رئيسهم فاذا هو تُبَّع الملك صديقُ آل غسان فكتمتُ عليه امر ارسالكم اياي واظهرت له ميلًا للغساسنة لم اترك له معه سبيلًا للشك فيه. فسلَّم اليَّ هذه الرسالة للنعمان واوصاني الّا يطّلع عليها احدٌ سواه

الاسود (يأخذ الورقة ويقدّمها لثعلبة) فُكّها واقرأ

ثعلبة (يقرأ) من تُبَّع العاهل الكبير ملك حمير الى حليفنا النعمان بن المنذر سلام: قد احطتُ علمًا بكل ما ذكرتَ ووقفتُ على ما نويت. غدًا نتسوّر حصن الاسود ونفتحهُ قسرًا ونخلّصك من عدوّك. كن اذًا على استعداد

الاسود (يقاطعه بغضب) هذا من اكرمنا مثواه وحقّنا دمهُ. نِعمَ المكافأة يا نعمان.. اني أدرك الآن صحّة قولك يا ابا اذينة:

العفوُ الّا عن الاكفاء مكرمةٌ من قال غير الذي قد قلتُهُ كذبا
لا تقطعنَّ ذنَب الافعى وتُرسلها ان كنتَ شهماً فأتبع رأسها الذنبا

ولكن لا ذكر في هذه الكتابة لنمير؟

ثعلبة (يقرأ) امّا نُمير فقد حاولتُ قتلهُ بموجب امرك.

الاسود واحرقة قلباه عليك يا ولدي يا نُمير (يسندهُ ثعلبة لانه يضعف ليسقط) لقد... تأجّجت نار الحزن والالم... في فؤا... دي. يا... ثعلبة. والأسفي عليك... يا نمير... ما هذه الميتة. ذهبتَ فريسة الغدر والخيانة. لِمَ لم تمت بين الشُمر والبيض في معمعة الحروب... (ترجع اليه قوته. يترك كتف ثعلبة ويقوم بعزم) ولكن لا يُهدَر دمك وايمُ الله. ثعلبة ادعُ لي النعمان وليحضر معه اعواني والسيّاف (يخرج ثعلبة)

المشهد الثامن

الاسود وحده

الاسود لقد هُدَّ ركنُ قوّتي.. تضعضع عزمي:

خيفَ البدرُ حين كان تماماً وتخفي نورهُ فعاد ظلاماً
ودراري النجوم عادت وغابت وضياء الآفاق صار قتاما
حين قالوا نُمير اضحى قتيلاً خيّم الحزنُ عندنا واقاما
كان عوني وعدّتي في الرزايا كان درعي وذابلي والحساما
يا جفوني ان لم تجودي بدمع لجملتُ الكرى عليكِ حراما
قَسَماً بالذي امات واحيا وتولّى الارواح والاجساما
ماغمدتُ الحسام في الحرب حتى اتركَ القومَ في الفيافي عظاما

المشهد التاسع

الاسود . ثعلبة . النعمان . الاعوان . الياف

الاسود يا نعمان حقنتُ دمك وانزلتُك منزل الضيف الكريم في داري اكرمتُ مثواك واعززتك . على اني ما دريتُ انك افعوان ينفثُ سمّهُ في الخفية

النعمان يا ابن الحارث بوسعك ان تقتلني ولكن لا حقّ لك على شتمي

الاسود أغدرٌ وإصرار وتكبُّر . اقرأ يا ثعلبة

ثعلبة (يقرأ من جديد الرسالة)

النعمان (بهدوء وشرف) هذه مكيدةٌ . لا علم لي بما في هذه الرسالة

الاسود اليس تُبَّع ملك حمير حالفك ؟

النعمان نعم

الاسود الم تبعث اليه برسالة هذا جوابها ؟

النعمان كلّا

الاسود اما سمعت بنزول تُبَّع وراء هذه الاكمة مع جنده ؟

النعمان سمعتُهُ ولم اتحقّقهُ

الاسود الم يصنع ذلك باتفاق معك ؟

النعمان لا والله

الاسود أما سمعت بفقد ابني غير ؟

النعمان نعم

الاسود اما تعلم مصيرهُ

النعمان لا وشرف النعمان

ثعلبة (للاسود) ومتى سُمع ان المذنب يُقرُّ بذنبهِ

الاسود (للنعمان) وبالتالي ؟

النعمان انا بَرّاه من كلّ ذَنب

الاسود لقد عيل صبري . ايها القوّاد كونوا على حذر من هجوم تبّع ملك حمير علينا هذه الليلة . وانت ايها السيّاف خُذ النعمان الى منقع الدم واقطع رأسهُ

النعمان الى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمعُ الخصومُ
ستعلم في الحساب اذا التقينا غدًا عند الالـه مَن الظلومُ

(يخرج النعمان والسيّاف يستلّ سيفهُ)

الاسود ذُقْ يا نعمان كأسًا مزجتَ لنا مرارتها
فأنصفُ الناس في كلّ المواطن مَنْ سقى المعادينَ بالكأس التي شربا

المشهد العاشر

بينهم وجليل

جليل (يُدخل وهو يصيح) ابي . ابي . بالله عليك مُرْ بان يوقفوا السيّاف او اقتلوني عوضًا عنه . اقتلوني معه (يركع امام الاسود . الذي يحوّل عنهُ نظرهُ . يُجرّ الستار)

الفصل الرابع

تخصّص الحق

(يوضع قبر للنعمان في مؤخر المسرح وعلى جهة)

المشهد الاول

جليل وحده

جليل (مستند الى قبر ابيه)

اهاج قذاء عيني الاذكارُ هُدوءًا فالدموعُ لها انحدارُ
وصار الليل مشتملًا علينا كانّ الليل ليس لهُ نهارُ

وبتُّ اراقبُ الجوزاء حتى تقاربَ من اوائلها الضمارُ
أسرّحُ مقلتي في إثر قومٍ تباينتِ البلادُ بهم فغاروا
وابكي والنجومُ مظلماتٌ كأن لم تخفها عني البحارُ
ايا ابتا دعوتك لم تجبني فقلبي لا يقرُّ له قرارُ
ألا بحقك يا فدى نفسي أجبني وكيف يجيبني البلدُ القفارُ
أبتْ عيناي بعدك ان تكفّا كأنَّ قذى القتادِ لها بثفارُ

يا ابتاه أمثلك يواريه التراب فينطفئ سراج عينيه ويصمت نطق شفتيه ... واأسفي عليك يا ابي كنت لي نورًا فأظلمت الدنيا في عينيَّ من بعدك . كنت لي فخرًا وعزاء فلبستُ من بعدك ثوب الحداد وارتديت رداء الحزن ... ألا كيف هجرتني يا ابي . كيف تركتني وحدي وانا في الاسر بعيدًا من امي

أُيتماً وسجناً واشتياقاً وغربةً ونأيَ حبيب انّ ذا لعظيمُ

ألا هل من عودةٍ يا ابتاه ... اواه ذهب ذهاباً لا يعقبه اياب (يبكي) . قتاوه ظلماً ... ليس ابي ممّن يعمد الى وسائل قبيحة كالتي عزوها اليه ليخلص من الاسر . ابي أرفعُ من ذلك . يا ربي برّئ ساحته . . ارحمهُ يا ارحم الراحمين . . . (يبكي) ألا يا دموعيَ اسقي بريك قبرهُ . وطّبي بغيوثك ثراه

سقاك الغيثُ انك كنتَ غيثاً ويسراً حين يُلتمسُ اليسارُ

يا رُفات ابي اليكِ مني سلام والفُ سلام (يسند رأسه الى القبر)

المشهد الثاني

جليل . الاسود . ثعلبة

(الاسود وثعلبة يتقدمان الى امام المرسح ويبقى جليل على جهة في مؤخره)

ثعلبة (على حدة عند دخوله) قتلتُ الاسد فبقي عليَّ الجروُ الصغير

الاسود يا ابن العمّ ان منظر هذا الفتى الباكي على قبر ابيه لمما يُفتت الاكباد

ثعلبة أساءَ مَن يرحم فريسة غدرهِ وخيانتهِ وكفره بالنعمة ؟

الاسود لا ريب فيما تقول على أني منذ قتلتُ النعمان لم يقرّ لي قرار ... فقد طالما حاولت ان اتذكر ما تقول عن غدرهِ وخيانتهِ فلم يهدأ روعي . . . أأملي قتلتُ بريئاً !

ثعلبة او تشكُّ ايها الملك في امر خيانة النعمان

الاسود لا ... ولكن لستُ أرى لبلبالي مُخمدًا .. ان في الامر لسرًّا. فاعلم يا ابن العم انه من بعد قتلهِ لم يكتحل جفني برقاد وكلما دخل الطعام في غصَّ في حلقي وقد فارقني السرور واستولت عليَّ الهموم

ثعلبة لا تسترسل لمقلق ايها الملك بل افتح قلبك للفرح واهنأ بقتلك اكبرَ عدوٍّ لك فبقتلهِ اصبحتَ في مأمن من كل خصوم

الاسود وأنَّى لي ان اهنأ ... اتريد ان اكشف لك سرّي: ان خيال النعمان يرافقني حيثما اسير . كلامهُ الاخير لا يزال يطرق اذنيَّ

ستعلم في الحساب اذا التقينا غدًا عند الاله مَن الظَّلومُ

انا الذي كتبتُ أتيهُ عُجبًا على كل الملوك قد كفَّ الخجلُ جبيني فلا يمكنني ان ارفع نظري الى احد من الخلق الَّا واراهُ يبكتني على فعلي (يمسح دمعة)

ثعلبة أتبكي ايها الملك

الاسود انَّ الدموعَ سفيرُ البؤس والكدرِ فانظر تجدْ دمعيَ المتَّانَ منهملا
والجفنَ في ارَقٍ والعينَ في غرقٍ والقلبَ في حُرَقٍ والجسم منتحلا
استوطنَ الحطبُ قلبي فاستقرَّ بهِ وحاق بي فكساني الروعَ والملَلا
اراشَ لي اسهُماً في مهجتي فتكتْ اصاب قلبي بجرحٍ ليتهُ قتلا
ثعلبة ايا مليكي تجلَّد واصبرنَّ وكن عند الخطوب اذا ما خيَّمتْ بطلا
ان ضاق قلبك عن هذي النوائب يا مولاي قلبي فسيح فآملاً نه الى ...
قلبي اذا اشتدت الاهوال كافحها ولا يبالي ولو نجمُ المئون علا
ليثٌ كمثلك تخشى الارضُ سطوتهُ عارٌ اذا قيل عنه ذلَّ وانخذلا

الاسود اين الصبر . واين السبيل اليه (يأخذ ثعلبة الى قدَّام المرسح على جهة) يا ثعلبة قرحٌ بليغ ظهر هنا في صدري يوم قتلتُ النعمان وقد عالجته فلم يزدد الَّا اتساعًا وهو ينهش صدري وينخر عظامي ... اواه

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني بها كبدًا ليست بذات قروح
اباهى عليَّ الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علَّة بصحيح

(ينظر ابن النعمان فيقترب منهُ) .. هذا جليل ...

دعني يا ثعلبة وابنَ النعمان لعلّي القى منه ما يسكّن روعي (يخرج ثعلبة)

المشهد الثالث

جليل والاسود

الاسود (يقترب من جليل بلطف وينحني عليه بانعطاف) كفكفِ الدمعَ يا جليل فبكاؤك لا يُجدي نفعاً . ما صار قد صار . فقد سبق السيفُ العذَل

جليل ماذا يريد الاسود من ابن النعمان . ليتركنّه وشأنه . وان شاء فليُلحقه بابيه

الاسود ما جئتك لتعنّفني . جئتك معزّياً يا جليل

جليل لا كنتَ قتلت ابي ولا تنازلت الى تعزيتي

الاسود قتلتُ اثيماً واعزّي كبيرًا

جليل وهل ثبت إثمُ ابي . . . اتقتلُ رجلًا دون ان تتثبّت جرمهُ . وما ادراك انّ الرسالة التي اتوك بها ما كانت مزوّرةً كتبتها يدٌ اثيمة واعداؤنا في قصرك عديدون

المشهد الرابع

الاسود وجليل والمنذر

الاسود هلمَّ يا بنيَّ لعلك تعزّي انت جليلًا (على حدة) فتخفّف وطأة همومي

المنذر (يقترب من جليل) جليل . اخي . حبيبي

جليل قد كان المنذر حبيباً لي لكني لا اعرف ابنَ قاتل ابي

المنذر سألتُك بالله يا جليل ألّا تزجرني

جليل اليك عنّي

المنذر (ينحني على جليل) يا جليل ليس هذا الودّ الذي كنت اعهدهُ فيك . . . اين عهودنا وعقودنا . . . اتزيدني حزناً فوق حُزني على فقد اخي والكلُّ يقولون ان النعمان قاتلهُ

جليل فان كان الامر كما تقول دعني اذًا وابكِ اخاك كما انّي ابكي ابي

المنذر انا لم اصدّق ما شاع عنهُ . . . ألا يا جليل سألتك بكلّ ما هو عزيز لديك ان تصافحني ثانيةً

جليل اعزُّ شيء عليَّ كان ابي فقتلتموه . لن يصافحَ كفي ابدَ الدهر كفُّ ابن

الاسود . اتركاني وشأني (يخرج الاسود مكسور الخاطر ويتخلّف ابنه)

المشهد الخامس

جليل (مستند الى النير) والمنذر

المنذر اوّاه ! ... لقد خان الحبيبُ العهود وحنث بالأيمان ونقض الذمام وجرح فؤادي جرحاً لا يندمل ... رجوتُ فزُجرتُ طلبتُ فرُفضت تذلّلتُ فطُمع ... هل اقابل غدرهُ بغدرٍ وظلمه بظلم : نارٌ تتأجج في احشائي وقد ألهبت مني الضلوع . تحاول هذه النار ان تتدفق من شفاهي بلعنة يوم به عقدنا عهد الود والحب ... تريد هذه النار ان اقطع الوثاق واعطي مجالاً لعواطفي وابرّد غليل فؤادي ... ولكن لا يا جليل . لا . انا لا افعل هذا :

طُبعتُ على الاخلاص بالودّ والوفا وقلبيَ يأبى ان اكون خؤونا
وعارٌ على الخلق الكريم تلوّنٌ لقد عدّهُ اهلُ العقول جنونا
ثباتُ الفتى في عهده سؤددٌ لهُ وعزٌ واني ما برحتُ أمينا
على صفحاتِ القلب وذُك مثبتٌ سيبقى الى يوم النشورِ مكينا

هذا جوابي على جفوكَ يا جليل . والآن أتركك كما رغبتَ وشأنك

المشهد السادس

جليل وحده

جليل ماذا صنعتُ ... كيف قويتَ يا قلبي على الاساءة الى من هو بعد ابي اعزُّ الخلق عليك . واحسرتاه ! اتاني مسلياً معزياً . فتح لي قلبهُ كي اجد فيه ما ينسيني آلامي . وانا اغلظتُ لهُ المقال . ذكّرني بالعهود وانا نكثتها ورفضت مصافحته . اتاني وقد قاده حبُّهُ فجفوته وطردته فذهب كسيراً ... لعمري انَّ كسرته هذه وذلّه لهما اشدُّ من كسرتنا وذلّنا . فاسكتي اذاً يا عواطف الثأر المتلهبة في قلبي اسكتي . ويا هواجس الانتقام الثائرة في احشائي اصمتي ... وانت يا دم والدي المهراق . يا اصل دمي وسبب حياتي أطلب اليك بكل احترام واجلال ان تجاوبني : أما رضيتَ تكفيراً بدموع هذا الفتى الدامية وقد قطرها قلبه الجريح ... أجبني يا دم ابي اجيبني يا نفس ابي ... ليس من مجيب ... (يقف) لا يا منذر ما نكثتُ عهدك ولكن

خشيتُ امام قبر ابي ان اصافحك . خفتُ من ان تكون مصافحتك نقضَ عهد ابي ... اواه ! ... عهدان يتنازعاني ويودّان اقتسام روحي : عهدٌ عقدتهُ مع ابي كي احافظ على حقوق اجدادي والاخذ بثأرهم . وعهدٌ عقدته مع المنذر عهدُ ودّ وحبّ فان اقمت على هذا نكثتُ ذاك وان ثبتُّ على ذاك نقضتُ هذا ... لقد ضاع رشدي ... خذ يا ربي بيدي وارشدني انت واهدني الصراط المستقيم (يخرج بطيئاً)

المشهد السابع

ثعلبة وكليب

ثعلبة ارأيت يا كليب كم من عذابٍ قاسينا حتى بلغنا مأربنا من قتل النعمان

كليب أذكر ذلك حسناً ولا انساه

ثعلبة كلُّ تعبنا يذهب سدًى ان وقفنا عند هذا الحد

كليب لا افهم مرادك

ثعلبة تذكّر قولي السابق :

لا تقطعنّ ذنب الامعي وترسلها ان كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

ان النعمان يا كليب حيٌّ بابنه فان لم نلحق الابن بالاب فكأننا لم نفعل شيئاً اذ لم نقطع سوى نصف الطريق

كليب انا لا اطابقك على ذلك

ثعلبة ويحك ما تقول ؟

كليب كفاني ما ارتكبتُ من الشرور فلا اريد ان الطّخ يدي بدمٍ نقي طاهر مثل دم هذا الفتى

ثعلبة ان مَن باشر السلوك في مزلقة الاثم المنحدرة لا يمكنه ان يقف ما لم ينزل الى اسفل الهاوية . عليك ان تتبعني كالسابق يا كليب

كليب لا افعل

ثعلبة (بغضب وتهديد) اتدري يا كليب ان امر موتك وحياتك في يدي ؟

كليب اصنع ما بدا لك فلستُ بجازع

ثعلبة (يفكر ملياً ثم يقترب ملاطفاً كليب) ألك رغبةٌ في المال يا كليب ؟

كليب وماذا يفيدني المال ان كنت اجرُّ حياةً تعيسة ثقَّلتها الذنوب ... صوتٌ خفيٌّ ينخزني كمهاز ويوبخني سرًّا. انه كدودةٍ تنهش قلبي وقد سابتني راحتي ... اني نادم على سيري في إثرك . ولولا خوفي من العقاب اذ شاركتك في الشرّ لأعلنتُ مساعيك للاسود

ثعلبة ويلك ما هذه القحة ؟ (يضع يده على سيفه)

كليب (يهدؤ ويتبسَّم) لا تخفْ اني كاتم ما جرى بيننا ... اما انا فاني ذاهب أهيم على وجهي في البراري والقفار مسترحماً عفو الباري تعالى لعلَّهُ يصفح عن مآثمي (يخرج)

المشهد الثامن

ثعلبة وحدهُ

ثعلبة انا لا اعرف الندم . بدأتُ ان ارشف كأس الثأر فسأشربها حتى صُبابتها . (ينشد) :

بشير الأُنس وافاني بنيل العزّ والمجدِ
صحا دهري وواساني واضحى سيّدي عبدي
قتلتُ آل غسّانٍ ونلتُ غاية السعدِ
قُدُمْ يا بختُ وارعاني وكن يا دهرُ في عهدي

اهلكتُ النعمان وسأهلك جليلاً هذا امرٌ لا بدَّ منه والّا لذهب انتقامي ادراج الرياح (يخرج)

المشهد التاسع

الاسود وحده

الاسود يا للعجب ?ما هذا السرُّ الخفي اراني بالرغم مني تميل بي خطواتي الى هذا القبر . ان المذنب تسوقه اقدارهُ صاغراً الى محلّ الدم ... أأنا اذن مذنبٌ .. ولكن ايَّ ذنب اجترحتهُ بقتلي رجلاً اهلك ولدي واحرق كبدي ... الهي أأبقى هكذا هدفاً للدهر تلاطمني امواج الهواجس والآلام . أأبكي فقد ابني وابكي فقد قاتله . (يركع عند قبر النعمان) ألا يا بقايا النعمان يا رُفات اشرف الرجال واكرمهم حنّي عليَّ . اليكِ مني قُبلة تعويض ان كنتُ ظلمتُ النعمان

(يقبل القبر ثم ينكب عليه ويصمت ثم يدعو من الخارج) : مسرور

المشهد العاشر

الاسود ومسرور (الخادم)

مسرور سيدي الملك

الاسود ليحضر الان ميمون المغني مع العود

مسرور امرك سيدي (يخرج)

المشهد الحادي عشر

الاسود وحده

الاسود الناس تحسبُ من سادوا ومن ملكوا
في منهج الرغدِ مسرورين قد سلكوا
كلّا فقد يهنأ المملوك مغتبطاً
ومالكُ العرش في دنياه يرتبكُ
اني سئمتُ حياةً قوتُها حسكُ

المشهد الثاني عشر

الاسود والمغني

الاسود : غنني يا ميمون صوتاً من اوقع اصواتك في قلب حزين علّه يبرّد احزاني وينفي اشجاني

المغني (بلحن حزين ويدق على ربابته)

يا طائرَ البانِ قد هيّجتَ احزاني وزدتني قلقاً يا طائرَ البانِ
زدني من النَّوح واعضدني على شَجَني حتى ترى عجباً من فيض أجفاني
ناشدتُك اللهَ يا طير الحمام اذا رأيت يوماً هموم القوم فانعاني
وقُل طريحاً تركتاه وقد فنيَتْ دموعُه وهو يبكي بالدم القاني

الاسود كفى (يخرج ميمون بعد مدة سكوت . يدخل غير)

المشهد الثالث عشر

الاسود وغير

غير (دون ان ينتبه الى ابيه) سمعتُ صوتاً وبكاء . . . (يتطلع حواليه) لمن

هذا القبر ومن الباكي عليه . بك اعوذ يا ربّ من كل سوء (يقترب من ابيه ويتفرّس به) ابي ! !

الاسود (يرفع راسه) نمير ! أأنت حيّ ! . . . لا . لا . اليك عنّي ايها الخيال (يدير وجهه عن نمير)

نمير وأسفاه ! أدهمَ ابي مسيسٌ من الشيطان . . . ابتِ ! ابنُك نمير

الاسود (يتفرّس به) ليتني نزلتُ اللحد ولا رايتُك !

نمير أهذا حبُّك لابنك . . . تُرى ايّ اثمٍ اقترفتُ . . . ما كنتُ إخالُ انّ ابي يلقاني بعد اسري بنا لقيني . . . . ليتني بقيتُ في الاغلال ليتني قُتلتُ ولا رأت عيناي هذا المنظر

الاسود لو لم تأتِ لكان لي جواب على هواجسي . امّا الان وقد رأيتك فقد ثبت ذنبي . (يلتفت نحو القبر) آه ! لقد ظلمتُك يا نعمان

نمير ماذا تقول يا ابي؟ بحقك أوضحْ لي المقال فاني اتقلّى على الجمر من جمر القتاد . لمن هذا القبر . ما هذا القلق الذي اراك فيه ؟

الاسود هذا القبر . . . للنعمان

نمير (بدهشة) للنعمان ! . . . أوَ مات النعمان

الاسود قدّموا اليّ كتاباً باسم التُبّع ملك حمير جواباً على النعمان يزعم فيه انه قد قتلك طبقاً لطلب النعمان وهو قادم ليهجم على حصننا . فغرّوني هكذا فاسرتُ بقتله على الفور . . .

نمير واسوءتاه . . . وا أسفاه (يبكي . سكوت برهة)

الاسود ثم ناربّتني الهواجس فيناجيني قلبي ان النعمان بريء وقد سُلبتُ كلّ راحة . على اني كنت اتعزى باعتقادي صدق الواقع معتمداً على غيابك . أمّا وقد قدمتَ فلم يبقَ لي تسلية . . آه مَن لي ان اعرف ذاك الذي اختلق المكتوب فخدعني

نمير ما هو الّا ثعلبة

الاسود ثعلبة !

نمير نعم يا ابي وهو الذي بعثني الى ملك حمير . فقد طالما تظاهر امامي بالحب للنعمان والغيرة على انقاذه من الاسر الى ان اتاني يوماً وقال لي ان التُبّع ملك

حمير قد قدم ليخلص النعمان قسراً ويدّمر القصر فأقتفني كي اذهب اليه كانه هو خطفني ولا يريد اخلاق سبيلي ما لم تسرّح النعمان . فلمّا صرتُ الى الملك كبّلني بالاغلال وضيّق عليّ فقصصتُ عليه الخبر وكيف ارسلني ثعلبة ذاته فاختبرني مدة ثم اذ اكدتُ له ان النعمان في قيد الحياة وتجلّى لهُ خبث ثعلبة وبغضه لآل غسان أفرج عني خشية ان يلحقهم مكروه لأطلعك على جليّة الامر . . . ولكن سبق السيفُ العذل

الاسود صنع كل ذلك ثعلبة ليشفي غليلهُ بموت النعمان . هذا مما لا ريب فيه . فقد طالما طلب اليّ بالحاح قتلهُ بحجج كان يختلقها فلم أُعِرْهُ سمعي . فقطع رجاءهُ مني وعمد الى الحيلة والمكر فأيم الحقّ لانتقمنّ منه لدم النعمان

المشهد الرابع عشر

الاسود . ونمير . والمنذر

المنذر (يدخل بسرعة دون ان يشعر بحضور نمير . اذ عند دخوله يتنحى نمير ويتلثّم) انّ لي كلاماً خطيراً أردّعه اليّ كليب خادم ثعلبة جئتُ لأطلعك عليه يا ابي

الاسود قل يا بني

المنذر بينما كنتُ الآن امشي الهوينا امام باب القصر اذا بكليب خارج وقد ارتدى بثياب السفر . فاقترب مني وأسرّ اليّ هذا الكلام : « حذارِ حذارِ يا منذر من حبائل ثعلبة فانه يريد يغري اباك بقتل جليل » . فاردتُ ان يزيدني شرحاً فهرولَ مسرعاً وأفلت من يدي

الاسود لا حول ولا قوة . . . انّ ذاك الوحش الضاري لا يسكن ثائرهُ ما لم يخرج دم الابن بنجيع ابيه (بينما يقول الاسود هذا الكلام يقترب نمير من اخيه ويرفع اللثام)

المنذر نمير . . . اخي . . . في قيد الحياة !

نمير عزيزي المنذر (يتعانقان)

المنذر بكيتك بُكاء مَن لا يُنتظر رجوعهُ . . . فاين كنت يا اخي ومن اي الاخطار نجوت ؟

الاسود ستعلم كل ذلك الساعة . فاذهب وادعُ الى هاهنا كل اعواني وحاشيتي مع جليل ولا تنسَ ثعلبة والسيّاف (يخرج النذر من جهة ويدخل ثعلبة من الاخرى)

المشهد الخامس عشر

الاسود . نمير

الاسود (يتطلع فيرى ثعلبة مقبلاً فيقول) ها ان ثعلبة اتى توارَ قليلاً يا نمير . (يخرج نمير)

المشهد السادس عشر

الاسود وثعلبة

ثعلبة جئتك ايها الملك في امر ذي شأن . اخشى سوء عاقبته عليك

الاسود (ببرودة) وما هو ؟

ثعلبة قد قتلتَ النعمان كي لا يُهدرَ دم ابنك . ألا ان النعمان لم يمت بعدُ تماماً . انه جي بابنه جليل واخاف ان ينتقم هذا لدم ابيه . . . فجئتُ لانبّه خاطرك وابرّىء ساحتي مما لعلّهُ يطرأ عليك من السوء

الاسود (بغضب) ثعلبة !

ثعلبة ماذا ؟

الاسود ثعلبة لقد امتلأت الكاس وطفح الكيل . . . حتى متى تخدعني يا لئيم ؟ (يدعو من الخارج) نمير

المشهد السابع عشر

الاسود وثعلبة ونمير

نمير ابتِ

ثعلبة (يقفز فجأةً الى الوراء ثم يلتفت يمنةً ويسرى كمن يريد الهرب) اين أهرب ! اين اختفي ؟

الاسود مكانك يا ثعلبة . لقد حصحصَ الحق . وابدى الصريح عن الرغوة . الآن تنال جزاءك

المشهد الثامن عشر

الكل مع منذر والسياف

الاسود ايها السياف عليك بثعلبة . (يمسكه السياف) امّا انت يا جليل فقد والله ظلمناك من غير علم . ان اباك طاهر الذيل بريء الساحة . فسير لم يُقتَل . (يشير بيده الى ثعلبة) هذا اصلُ الشرّ . فهو الذي اختلق تلك الحيلة فاغراني به . . . والآن يا فرعاً شريفاً نبتَ من اصل كريم انا الاسود ملك الحيرة على مشهد من اعواني وحاشيتي اطلب اليك ان تغفر لي . . . لقد اخذتْ عقابي يا ناليني بين مهماز الضمير اذ ان قلبي تمزّق ويتمزّق اسفاً وكمداً .

جليل أأغفر لقاتل ابي ؟

المنذر (يجثو عند القبر ماسكاً اياه بيمينه وبصوت متخشع يقول) : بحق الرفات التي يحويها هذا اللحد سألتك ان تغفر لابي يا جليل وان تصافحني . لا اقومنّ من هنا ما لم تعاهدني على الودّ كالسابق

جليل (تارة ينظر الى القبر وهو مطاطئ الرأس واخرى الى الابن واخرى الى الاب . ثم يقول بهدوء) : لقد ضربتَ يا منذر وَتَرًا لا بُدَّ ان تُسمع لهُ رنّةٌ . . . قد غفرتُ لابيك (يقترب من المنذر) قم لنتصافح (يتصافحان)

الاسود حجرٌ ثقيل قد هبط عن عاتقي . . . ايها الجلّاد خذ رأس ثعلبة (السياف يستلّ حسامه) .

ثعلبة لي كلمة يا ابن عمي من بعدها تفعل بي ما تشاء .

الاسود (بغضب) قل وأوجز

ثعلبة (يذهب الى القبر ويركع ويمسكه بيمينه ويقول بصوت رقيق متأثر حقاً وهو ينظر الى جليل) أطلبُ من ابنِ مَن قتلتُهُ ظلماً ان يهبني ما وهبَ الاسود وابنهُ (سكوت هنيهة)

جليل (يحول نظره عن ثعلبة ثم يقول بحيرة) عدوّ آل غسان . . . لا . لا . لا اقدر (يفتكر ملياً ثم ينظر الى القبر) . . . ولكن اين شهامة العرب . اين شرفهم ! لن أنسى ما انسى تعاليم رسول غسّان واسقفنا الجليل موسى مبشّر العرب الذي عرض علينا مثال السيد المسيح وحرّضنا على ان نغفر لاعدائنا . فلك يا ثعلبة

ما نال الاسود وابنهُ اني اصفح عنك كما صفح الفادي عن اعدائهِ

ثعلبة - (ينهض بفرح) الآن أُقتَل بفرح ان شاء الاسود

الاسود نعم انَّ العدل يطلب انْ يُقتل القاتل - ايها السياف خذ فيما كنت فيه . (يقترب السياف من ثعلبة والسيف مسلول)

جليل بمكانك ايها السياف . (للاسود) ايها الملك منحتُك ما طلبت فامنحني رأس ثعلبة

الاسود لا حول ولا قوة . . . (يهزّ رأسه بحزن وحيرة) والله لو طلبهُ ابني لما اعطيتهُ . هو لك يا جليل

جليل (يأخذ ثعلبة بيده) اذهب فانت حرّ لوجه الله

ورثنا المجد عن آباء صدقٍ ونورثهُ اذا متنا بنينا

(ينزل الستر)

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الصاد

٤٧٧ ﴿صادر﴾ القس بطرس بن جرمانوس الماروني الحلبي توفي في اواسط القرن التاسع عشر : ١ً وجدنا لهُ في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت قبل الحرب تعريب رياضة ليلاد السيد المسيح تأليف احد الآباء اليسوعيين نقلها من الطليانيَّة الى العربيَّة . ٢ً عرَّب عن الترجمة الطليانيَّة المطبوعة في رومية سنة ١٨٠٢ كتاب الاب اليسوعي اسكندر دي روثيل (راجع العدد ٣٤٩) تأمُّلات ورياضات لاكرام قلب يسوع نقلها الى العربيَّة سنة ١٨٤٢ في حلب . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . في